واقع العلاقات السياسية
الجزائرية الفرنسية خلال القرن 18م

مداح محمد، طالب دكتوراه، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت

إشراف الأستاذ الدكتور بليل محمد، جامعة ابن خلدون، تيارت

ملخص:

تتناول هذه الدراسة خصوصية العلاقات السياسية الجزائرية الفرنسية خلال القرن 18م عن باقي البلدان في حوض المتوسط لما عرفته هذه العلاقات من تجاذبات بين السلم تارة والعداء تارة أخرى؛ وهذا بسبب تأثير الأوضاع السياسية الداخلية المتوترة للبلدين والضغوطات الخارجية على قراراتهما. لكن الطابع العام لهذه العلاقات تميز بالهدوء بسبب معاهدة السلم المئوي بين البلدين.

وبالرغم من التصرفات غير المقبولة للقناصل الفرنسيين في الجزائر، وحتى الحكومات الفرنسية نفسها والتي دفعت لتأزيم الأوضاع. إلا أن الجزائر كانت غالبا تسعى لتهدئة التوتر وإبراز النوايا الحسنة كدعمها لحكومة الثورة الفرنسية في1789، وفك الحصارالأروبي عنها بإرسال المساعدات المالية والقمح في وقت عانت فرنسا من أزمات اجتماعية وسياسية خانقة.وهذا مايفند الإدعاءات الأوربية للجزائر بممارستها "القرصنة" البحرية

Abstract :

This study is concerned with the specificity of the Algerian-French political relations during the 18th century from the rest of the countries in the Mediterranean. These relations have been characterized by conflicts between peace and hostility, because of the internal political situations of the two countries and external pressures on their decisions. But the general nature of these relations was characterized by serenity because of the centennial peace treaty between the two countries.

Despite the unacceptable behaviours of the French consuls in Algeria, and even the French governments themselves, who led to the aggravation of the situation, Algeria has often sought to calm the tension and show good intentions in support of the Government of the French Revolution in 1789, and the lifting of the European blockade by sending financial aid and wheat at a time when France suffered from severe social and political crises. This refutes the European claims of Algeria exercising nautical "piracy" .

مقدمة:

عرفت ضفتي البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 18م تحولات سياسية كبيرة أثرت على طبيعة العلاقات بين بلدان الضفتين وباعتبار أن العلاقات بين الجزائر وفرنسا لها جذور تاريخية ومرت بتجاذبات ومراحل حرجة وحساسة و مؤثرة؛ كان لزاما التطرق لهذه العلاقات السياسية بين البلدين خلال القرن 18م، والتي عرفت محطات مهمة تراوحت بين السلم و التعاون تارة وبين التوتر و الإختلاف تارة أخرى.

والجدير بالذكر أن الطابع العام للعلاقات بينهما كان مقيدا بمعاهدات عقدت سابقا بين الطرفين، وللإطلاع أكثر على هذه العلاقات وفهمها وتحليلها يجب التعرف على الأوضاع الداخلية للبلدين، خاصة السياسية منها طيلة هذه الفترة لتبيان مدى تأثيرها المباشر أو غير المباشر على علاقاتهما الخارجية. ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية:

- كيف كانت الأوضاع السياسية الداخلية للبلدين خلال القرن 18م؟

- وما هي طبيعة العلاقات السياسية بين الجزائر وفرنساخلال هذه الفترة؟

1- الوضع السياسي العام في الجزائر خلال القرن 18م:

بالرغم مماكانت عليه البحرية الجزائرية من قوة ونشاط في هذه الفترة بعد تعرضها لجمود استمرعدة سنوات، فكانت أكثر البلدان عرضة لهذه"القرصنة"إسبانيا والبرتغال(ألتر.ع.س، 198، 599) إلا أن هذا لم يمنع وجود الكثير من المشاكل والاضطرابات على الصعيد الداخلي.

ولعل أبرز المحطات التي ميزت الوضع السياسي الداخلي بالجزائر خلال القرن 18م والذي اعتبر إيجابيا وهاما، هو فتح مدينة وهران في 20 جانفي 1708 على يد الباي مصطفى أبي الشلاغم الذي انتقل من معسكر إلى مدينة وهران، حيث جعلها مقرا لحكمه، (الزياني.م، 2007، 159) فبالرغم من هذا النصر العظيم بطرد الإسبان فقد كانت الجزائر تعيش مرحلة من الإضطرابات السياسية والقلاقل الداخلية، كصراع الدايات على السلطة وتحكم الطبقة العسكرية في الحكم وتناحرها فيما بينها، مما أدى إلى اغتيالات متكررة في صفوف الدايات والجنود الأتراك، ما دفع بالدولة العثمانية للتدخل في شؤون الجزائر في محاولة منها لاسترجاع نفوذها؛ هذا الأمر أثر على سلطة الدايات مما فتح الباب على مصراعيه لظهور التمرد والعصيان؛(بوعزيز.ي،الموجز، 2009، 48) كعصيان باي الشرق حين أمره الداي سنة 1710م أن يحضر ضريبته إلى الجزائر لكنه عصى الأمر وجمع النقود وتوجه إلى مكان مجهول، مما صعب الأمر على الداي في دفع أجور الإنكشارية (وولف.ج.ب،2009، 382) الذين ثاروا على الداي محمد بكداش 1710م فقتلوه ووضعوا واحدا منهم مكانه اسمه دالي ابراهيم (بن ميمون.م، 1981، 31).

كما تمرد كراغلة تلمسان بالموازاة مع اضطراب السلطة بمدينة الجزائر، حيث أعلنوا قيام سلطة مستقلة، ودعوا إلى السلاح ضد السلطة في العاصمة، وقد قمع هذا التمرد بالحديد والنار وطالت هذه الاضطرابات بعد موت الداي إبراهيم كوشوك (1745–1748) مسموما، وقد خلفه الداي الطورطو(انظر التعليق رقم 01) الذي لقي نفس المصير في 11 ديسمبر 1754 إثر مؤامرة حاكها ضده مجموعة من الجنود، إضافة إلى ثورة بلاد القبائل التي هاجمت برج بوغني في 16 جويلية 1756 (عباد.ص،2013، 252 – 253). أما عصيان أهل جبل فليسة 1767 كان بسبب منع دفع الضريبة للأتراك في عهد الداي محمد عثمان باشا (1766–1791) الذي قضى على التمرد (المدني.ت، 1986، 101).

وبسبب ضعف سلطة الداي في الجزائر وتدهور الأوضاع الداخلية، جدد الإسبان الكرّة على وهران واحتلوها عام 1732 لمدة 60 عاما،(بوعزيز.ي،مع تاريخ الجزائر،، 63) والتي تم استعادتها وفتحها للمرة الأخيرة سنة 1791 من يد الإسبان بعد حصارها، وانتقل إليها الباي محمد الكبير(انظر التعليق رقم 02) الذي عمرها وبنى فيها المساجد (الزهار.أش،1980، 63).

هذا ما كان من غرب الجزائر، أما في الجهة الشرقية فقد كان صالح باي على رأس بايليك قسنطينة مدة 22 سنة تقريبا فقد عينه الداي محمد بن عثمان سنة 1771 بايا على الشرق وقد تمكن من اخضاع بايليك الشرق فحارب زواوة سنة 1772 وأولاد نايل وأخضع الدواودة في بسكرة 1774 وفرجيوة 1781، كما تعرضت الجزائر في سنة 1775 إلى حملة أوريلي "oreilly"(انظر التعليق رقم 03) على الجزائر (عباد.ص،2013، 277).

غير أن الأوضاع السياسية في الشرق تدهورت خاصة أن داي الجزائر تخوف من نفوذ صالح باي فعزله وعين مكانه إبراهيم بوصبع الذي قتل عند دخوله قسنطينة 08 أوت1792، ولقد رفض صالح باي التنحي عن المسؤولية لكن الداي أرسل قوات إنكشارية حيث قتل صالح باي شنقا (الميلي.م، 1964، 243). وعين مكانه مصطفى الوزناجي الذي قتل هو أيضا سنة 1797 وأصبحت الاغتيالات عادة في بايليك الشرق؛ وهي مرتبطة بمداخيل التجارة خاصة بعد أن تدخل اليهود فيها الى جانب الفرنسيين الذين نافسوهم (عباد.ص،2013، 281).

كما تعرضت الجزائر إلى حملتين من طرف الإسبان مرة أخرى فكانت حملة دون أنتونيو الأولى 1783 و التي أسندت قيادتها إلى الضابط دون أنتونيو دو بارسولو .Don Barecelo " "Antonio. De. ، لكن قوات الداي البرية والبحرية صمدت وأرغمت الاسبان على الانسحاب مهزومين ورغم فشل هذه الحملة فإن الاسبان جهزوا حملة أخرى في العام الموالي 1784 وتخابروا مع نابولي ومالطة والبرتغال لتشكيل حلف صليبي ضد الجزائر وبمباركة من البابا، ودامت المعارك من 11 إلى 21 جويلية 1784 وتعرضت هذه الحملة للهزيمة كسابقتها وكانت آخر محاولة من هذا النوع (بوعزيز.ي، الموجز، 2009، 73-75).

ويمكن القول أن الطابع العام للوضع السياسي في الجزائر طيلة القرن 18 تميز بعدم الاستقرار في دوائر الحكم خاصة بعد غياب النفوذ المباشر للباب العالي في الجزائر، فتصرف الدايات بكل حرية في تسيير شؤون البلاد، هذا فتح الباب على مصراعيه أمام الطموحات الشخصية لقادة الجيش البري والبحري وحكام البايلكات الثلاث للوصول إلى السلطة والاستئثار بمداخيل البلاد وكان هذا الصراع بكل الطرق من التآمر إلى الاغتيال والإنقلابات والتمردات التي أصبحت السّمة الغالبة في هذه الحقبة.

بالموازاة مع هذا الوضع وجد الأوروبيون الفرصة سانحة لتسيير حملاتهم إلى الجزائر كما فعل الاسبان في تحالفاتهم الأوروبية من أجل السيطرة على سواحل الجزائر لكنهم فشلوا في ذلك أمام صلابة الدفاعات الجزائرية بالرغم من تردي أوضاعها السياسية داخليا.
والجدير بالذكر أن فرنسا لم تقم بحملات ضد الجزائر طيلة هذه الفترة بسبب ارتباطها بمعاهدة السلم المئوي وحصولها على الامتيازات التي عملت جاهدة للحفاظ عليها.

ولعل نتاج هذا التوتر السياسي ظهور ثورات وتمردات شعبية ضد السلطة الحاكمة إما لأسباب سياسية كدعم أحد البايات، أو اجتماعية اقتصادية كرفض دفع الضرائب الباهظة والتي لم تكن السلطة لتتخلى عنها حيث عملت على استخلاصها من الشعب بكل الوسائل بما فيها استعمال القوة.

2- الوضع السياسي العام في فرنسا خلال القرن 18م:

عرفت فرنسا تغيرات في المجال السياسي خلال القرن 18م، ويعود ذلك انتشار الأفكار الحرة التي هاجمت تعسف النظام الملكي المطلق وسيطرة رجال الكنيسة وهيمنة النبلاء (نواصر.ع ر،2010/ 2011 ، 42-43). حيث كان النظام الملكي المطلق لا يزال يتحكم في الأوضاع، على أنه يستمد سلطة من الله(الحق الإلهي)، ومن هنا يعتبر نفسه المصدر الأساسي لكل القوانين والتشريعات، وأمام هذا الوضع كان لابد من اتباع

سياسة إصلاحية بهدف تقييد الحكم المطلق والقضاء على امتيازاته (سوبول.أ،1989، 63-65).

وقد كانت إرادة الأمة الفرنسية ممثلة في البرلمان الذي كان في بدايته سلطة قضائية، ثم انتقل فيما بعد إلى سلطة سياسية عانت من التعسف، حيث ألغاه لويس الخامس عشر"Louis XV" 1771، ثم أعاده لويس السادس عشر"Louis XVI" سنة 1774 فصار على رأس المعارضة التي تقدمت فيما بعد لتقضي على الملكية المطلقة(نواصر.ع ر،2010/2011 ، 43).

فاندلعت الثورة الفرنسية سنة 1789 والتي غيرت الأوضاع في فرنسا واعتبرت بداية الحراك السياسي والاجتماعي الفعلي، في فرنسا كما غيرت سياسة أوروبا بصفة عامة؛ حيث انتهى عهد صراع ملوك أوربا فيما بينهم وأصبح صراعهم مع شعوبهم .(Bourgeois. E, 1946, 06)

وقد مهدت لهذه الثورة العديد من الأحداث المتداخلة في فرنسا، و التي من بينها ضعف شخصية الملك لويس السادس عشر، وتدخل زوجته النمساوية ماري انطوانيت" Mary Entoinette" في الحكم ما زاد من السخط الشعب، كما كان للأزمة المالية دورا في تأجيج الأوضاع إضافة إلى سطو النبلاء ورجال الدين الذين كانوا يعملون على إجهاض كل محاولات الإصلاح (الجمل.ش و إبراهيم ع الله، 2000، 85-86). وأمام هذا الانسداد انفجرت الثورة بمهاجمة بلدية باريس وسجن الباستيل وتحرير سجنائه في 14 جويلية 1789، وامتنع الشعب عن دفع الضرائب فحاولت البرجوازية احتواء الأمر بالإعلان عن قرارات 11 أوت 1789 على إثر اجتماع الجمعية الوطنية والتي من بينها قرار إلغاء تولي المناصب وراثيا، بالإضافة إلى تبني إعلان حقوق الإنسان و المواطن (سوبول.أ،1989، 124وما بعدها).

وتحولت الملَكيّة في فرنسا من ملكية مطلقة إلى ملكية دستورية بموجب دستور 1791 فأصبح فيها القانون فوق الملك، كما أقر هذا الدستور الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية (المطوف. ع ك، 2011، 30).

وفي 20 سبتمبر 1792 أنشئ المؤتمر الوطني لإعداد دستور جديد، حيث اتفق الجميع على إلغاء الملكية، وأعدم الملك في 21 جانفي 1793 وفي جويلية 1793 أصدر دستور جديد، وأسست الحكومة الثورية والتي اغتيل رئيسها روبيس بيار، "Roubis Pierre"، ووضع دستور جديد آخر وأسست حكومة الإدارة لتفادي العودة إلى الدكتاتورية لكن الصراعات أضعفت هذه الحكومة (نواصر.ع ر،2010/ 2011 ، 47). فلجأت البرجوازية إلى الجيش فتولى قيادة الأمور نابليون في 09نوفمبر 1799 الذي استغل الظروف الداخلية والخارجية وأعلن نفسه إمبراطورا سنة 1804. (السبكي،أ، 1985، 78).

أما فيما يتعلق بسياسة فرنسا الخارجية فقد تميز القرن 18م بصدام كبير بين فرنسا والدول الأوروبية لعدة أسباب، خاصة بعد تولي لويس السادس عشر (1774–1793) حيث خاضت فرنسا عدة حروب ضد بروسيا وغيرها من الدول الأوروبية، ومنيت الجيوش الفرنسية بهزائم عنيفة (الجمل.ش و إبراهيم ع الله، 2000، 85). ولم تتحسن علاقات فرنسا بدول أوروبا ففي 30سبتمبر 1792 وقعت معركة فالمي"Valmy"، حيث انتصر الفرنسيون وقبل الجنرالات البروسيون انسحاب قواتهم من فاردان"Verdun"، وبعد استئناف المفاوضات في 23 أكتوبر تم إخلاء كل التراب الفرنسي من الوجود البروسي (Bourgeois. E, 1946, 70).

وزادت العلاقات سوءا خاصة بعد إعدام الملك لويس 16 في 21 جانفي 1793، وهذا ما أثار حفيظة ملوك أوروبا مخافة أن يلقوا نفس مصير ملك فرنسا (Bourgeois.E, 1946, 89). مما دفعهم إلى تشكيل التحالف الأوروبي الأول ضد فرنسا، والتي بعد انتصارها على البروسيين اندفعت جيوشها فعبرت الراين واستولت على ماينز وجنيف وسافوي ونيس وبلجيكا وتوسعت الحرب حتى شملت كل أوروبا، خاصة بعد تولي نابليون قيادة الجيوش بصفة مستقلة فكانت سياسته التوسعية مبنية على السيطرة على أوروبا والبحر الأبيض

المتوسط، كما امتدت أطماعه إلى مصر التي قاد حملة عليها عام 1798 (الجمل.ش و إبراهيم ع الله، 2000، 118). مما جعل الدول الأوروبية تعقد تحالفا ثانيا «أبريل- ديسمبر 1798» ضد نابليون بونابرت وضم هذا التحالف الدولة العثمانية وروسيا وإنجلترا وغيرها (سوبول.أ، 1989، 509).

ولم تتوقف أطماع نابليون في أوروبا بل امتدت إلى جنوب البحر الأبيض المتوسط من أجل تحويله إلى بحيرة فرنسية، وذلك في تنافسه مع انجلترا على هذا البحر، فكلف وزير البحرية دوكري **(Decrès)** والذي اختار الضابط بوتان في 1808 لإعداد تقرير حزبي حول إيالة الجزائر من أجل السيطرة عليها (Montel.J, 1973, 21).

ومما سبق ذكره يمكن القول بأن الأوضاع السياسية الداخلية المتأزمة في فرنسا من تسلط لملوكها واستفحال نفود رجال الدين والنبلاء، وتدخلهم في السياسة العامة وضعف شخصية الملك لويس السادس عشر وتدخل زوجته في الحكم، إضافة إلى تردي الأوضاع الاقتصادية وتحجيم دور البرلمان خلال هذه الفترة من القرن 18 م جعل فرنسا على صفيح ساخن من عدم الاستقرار السياسي والذي انعكس بدوره على رسم ملامح سياسة فرنسا الخارجية.

فكل هذه الأسباب كان من شأنها أن تخلق واقعا جديدا في فرنسا ألا وهو اندلاع الثورة الفرنسية وما انجر عنها من نتائج على فرنسا خاصة وأوروبا عامة، حيث اعتبر هذا الحدث صراعا بين الملكية القديمة في أوروبا وأفكار التحرر والنهضة الناشئة في فرنسا. ومما زاد تأزم الأوضاع هو وصول نابليون إلى سدة الحكم بأطماعه التوسعية التي قفزت إلى الضفة الجنوبية من المتوسط في مصر والكيد لإيالة الجزائر، واشعال حروب لم تنته في أوروبا إلا بنهاية نابليون نفسه.

3- العلاقات السياسية الجزائرية الفرنسية خلال القرن 18م:

عرفت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 18م عدة محطات مهمة تراوحت بين السلم والتعاون تارة وبين التوتر والاختلاف تارة أخرى، والجدير بالذكر أن الطابع العام للعلاقات بين البلدين كان مقيدا بمعاهدة السلم المئوي (انظر التعليق رقم 04) منذ سنة 1689م ،وقد سجلت العلاقات الجزائرية الفرنسية حالة هدوء واستقرار على امتداد القرن 18م مقارنة بالحروب والتوترات المستمرة التي عاشتها في القرن الماضي (قنان.ج، العلاقات، 2014، 16). واستمر هذا الاستقرار الذي طوى صفحة الحملات العسكرية إلى غاية 1715م (غطاس.ع، 1985/1984، 97) تاريخ وفاة لويس الرابع عشر "Louis XIV"(انظر التعليق رقم 05).

ويمكن ذكر بعض المظاهر من علاقات السلم والتعاون، وأخرى للعداء والتوتر بين البلدين خلال هذه الفترة.

أ- بعض مظاهر السلم والتعاون:

عرف التعاون بين الجزائر وفرنسا أوجهًا عديدة ،اقتصادية وعسكرية ودبلوماسية ،حيث تجسد هذا التعاون بمختلف أوجهه في عقد معاهدات وتبادل مراسلات بين البلدين ، ومن أهم المعاهدات الاقتصادية ،اتفاقية عقدت في 08 مارس 1707م (نايت بلقاسم.م، 2007، 82). بين لويس الرابع عشر والداي محمد بكداش (أنظر التعليق رقم 06).

وحتى عام 1730 لم يطرأ على العلاقات بين البلدين أي توتر حاد، وبدا كأن الآلية السلمية التي أقيمت قادرة على مجابهة كل المشاكل التي تنشأ بين الطرفين، (قنان.ج، معاهدات، 2010، 179) فتوالى تجديد المعاهدات بين البلدين والتي يحمل أغلبها طابع السلم والتجارة؛ والتي من بينها معاهدة في 16 جانفي 1764 وعقدت معاهدة أخرى للسلم والتجارة في 10 جوان 1768 وبعد وفاة لويس الخامس عشر في 1774، وخلفه لويس السادس عشرالذي أكد حرصه على السلم والصداقة بين البلدين (نايت بلقاسم.م، 2007، 90).

وقد تطورت هذه العلاقات بشكل إيجابي في عهد الثورة الفرنسية حيث اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة في وقت كانت فيه فرنسا تحت حصار أوربي محكم، وتكونت بين الدولتين علاقات ودية باستثناء الحملة الفرنسية على مصر (1798-1802)،

وفي 1796 أقرضت الجزائر حكومة الثورة مليون فرنك بدون فائدة من أجل أن تشتري فرنسا الحبوب، وقد لجأت فرنسا أيضا إلى اليهوديين الجزائريين بكري وبوشناق ليقوما بالدفع بدلها حيث شكل تدخل هذين اليهودين جزءا أساسيا في تأزّم العلاقات بين البلدين (سعد الله. أق، 1982، 13-14).

ب- بعض مظاهر التوتر والعداء:

تميزت العلاقات بين البلدين في هذه الفترة بالهدوء أحيانا وببعض التوتر أحيانا أخرى، ومما يجدر ملاحظته هو ظهور ما يمكن تسميته بمشكلة القناصل الأوروبيين الذين لم يقوموا بمهامهم في هدوء ورزانة، وإنما كانوا عنصر قلق واضطراب للعلاقات بسبب تصرفاتهم التي تعتبرها السلطات الجزائرية تصرفات غير مقبولة مما دفعها تطالب بتغيير هؤلاء القناصل من حين لآخر (قنان.ج، معاهدات، 2010، 186).

كما احتج داي الجزائر إبراهيم في مراسلة في أبريل 1730 عن ما قام به الفرنسيون بأسر عدد من البحارة؛ اضطروا بسبب سوء الأحوال الجوية اللجوء إلى السواحل الفرنسية فافتك الفرنسيون من السفينة الأسرى الإسبان وعاملوا الطاقم الجزائري معاملة سيئة، وهذا تناقض مع روح الصداقة والوفاق بين الجزائر و فرنسا (بلانتيت.أ، 2014، 364-365). ويلاحظ أن داي الجزائر طلب من السلطات الفرنسية استبدال القنصل لومير "Loumir" بقنصل آخر(بلانتيت.أ، 2014، 361). وبتأخر استبداله طُرد القنصل من الجزائر عام 1734 وبالرغم من طرده عاد إلى الجزائر في 18أفريل 1735 وقد خلفه القنصل ألكسيس جان أوشاش "Alexis Ouchach" في ماي من نفس السنة (Devoulx.A, 1865, 38-39). وهدأت العلاقات بين البلدين.

خلال عام 1752 وقعت حادثة كادت أن تؤدي إلى القطيعة بسبب صدام عسكري حيث أشارت سفينة جزائرية لسفينة فرنسية في البحر بالتوقف إلا أن هذه الأخيرة بادرت بإطلاق النار فنشبت معركة وقتل 80 جندي تركي، لكن تم الاستلاء على المركب الفرنسي وصودرت شحنته وتم أسر ملاحيه ومعاقبة ربان المركب الذي مات في اليوم الموالي، (Grammont.H.De,1887, 307). وكادت هذه الحادثة أن تؤدي لنشوب الحرب بين البلدين.

بحلول سنة 1793 وبعد تنفيد الإعدام في لويس السادس عشر عادت السياسة العليا إلى النظر في الصدام مع الجزائر ومحاولة توريط الداي في الحرب، والذي أصبح يعتمد كليا على اثنين من تجار اليهود وهما نفتال بوشناق ويوسف بكري اللذين أصبحا يسيطران على حكومة الإيالة والذين أدركا بأن الفرنسيين سيكونون هم الفائزين في أوروبا بعد 1794، فأخذا يميلان نحو فرنسا(وولف.ج.ب،2009، 440-441). وقد تحولت أنظار الفرنسيين نحو مصر في تنافسهم مع البريطانيين بفكرة بأن مالطا هي مفتاح مصر وأن مصر هي مفتاح الهند، (Cole.J, 2007, 09) فانطلق الأسطول الفرنسي من ميناء طولون بـــ 20 ألف جندي في ماي 1798 ووصلوا إلى مالطا في 09جوان 1798 (Cole.J, 2007, 01). ومنذ احتلال مدينة القاهرة في جويلية 1798 عمد بونابرت على طمأنه بلدان المغرب البحرية، (قنان.ج، العلاقات، 2014، 95) وقبل ذلك كان قد أرسل مذكرة دبلوماسية إلى حكومة الجزائر تحدث فيها عن هذه الانتصارات وإعتاق المسلمين في مدينة ليفورن وجنوة (زروال.م، 2009، 50).

وتحت ضغط الرأي العام في الداخل وإلحاحات السلطان العثماني على داي الجزائر، أعلنت الجزائر الحرب ضد فرنسا في21 ديسمبر من نفس السنة، فحجز القنصل والرعايا الفرنسيين وجمدت الوكالة الإفريقية القائمة باستغلال امتياز الباستون وحجز سفينة فرنسية تحمل جنود فرنسيين، وهكذا وبسبب الحملة الفرنسية على مصر قطعت العلاقات مع البلدين إلى حين (قنان.ج، معاهدات، 2010، 299).

وبالتالي فقد عرفت العلاقات السياسية بين البلدين تذبذبا، فقد تخلل السلم والتعاون فترات من النزاع والتوتر بين البلدين أدت في كثير من الأحيان إلى انقطاع العلاقات بينهما لكن لم يدم هذا الانقطاع طويلا فسرعان ما تتجدد هذه العلاقات لتربط البلدين من جديد.

خاتمة: ومما سبق ذكره يمكن القول أن الأوضاع السياسية العامة للجزائر وفرنسا كانت متوترة ومشحونة بالإضطرابات والأحداث المهمة، إلا أن هذا الوضع الداخلي المتوتر للبلدين لم يؤثر بصفة نهائية على العلاقات فيما بينها خلال هذه الفترة، والتي تميزت على العموم بهدوء نسبي كان خاضعا لمعاهدة السلم المئوي، ما عدا بعض التوترات والتي مردها بالدرجة

الأولى إلى سياسة وتصرفات القناصل الفرنسيين في الجزائر التي كانت مبنية على زرع الفتن والتدخل في شؤون خارجة عن نطاق صلاحيتهم الدبلوماسية والمتمثلة في تمثيل بلدانهم فقط، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى كان للضغوط الخارجية دور في عدم استمرار الهدوء والصفاء في العلاقات بين البلدين، فالجزائر بحكم علاقتها بالدولة العثمانية كان مفروضا عليها أن توافق على مطالب الدولة العثمانية بإعلان الحرب ضد فرنسا على هامش حملة نابليون على مصر.

أما فرنسا فلم تسلم من الضغوط الأوربية لتوقيف تعاملها مع "حكومة القرصنة" الجزائرية، إضافة إلى تدهور العلاقات بين البلدين سببه عدم التزام فرنسا بالمعاهدات خاصة البحرية منها، مع العلم أن أغلب القناصل الفرنسيين في الجزائر أو العاملين فيها كانوا يمارسون أعمالا تجسسية ضد إيالة الجزائر فكانوا يجهزون مذكرات وملاحظات عن كل ما يتعلق بالإيالة ويرسلونها إلى حكومتهم وهذا ما تثبته أغلب التقارير الفرنسية.

ضف إلى ذلك أنه في بعض الفترات التي كانت ترى فرنسا نفسها بأنها في حالة قوة عسكرية ولها دعم سياسي ومالي، فتقوم بمحاولات للتنصل من التزاماتها أمام الجزائر وعدم الإمتثال لآداب الدبلوماسية بتنفيذ المعاهدات والاتفاقيات السياسية والاقتصادية والعسكرية الموقعة بين البلدين. بالرغم من المبادرات السلمية، والمساعدات المالية والاقتصادية من طرف الجزائر كمواقف ثابتة أو لإظهار النوايا الحسنة.

تعليقات:

1- الطورطو: (محمد بكير باشا 1748–1754) داي الجزائر كانت علاقته مع فرنسا متوترة خاصة بعد قتل قائد سفينة فرنسية، فاغتاله الجندي المدعو وزان علي بحجة إنقاذ الجزائر من الحرب مع فرنسا (المدني.ت، 1986، 50).

2- الباي محمد الكبير: من أشهر وأعظم بايات الأتراك بالولايات له الدور الكبير والحاسم في تحرير وهران من الإسبان بفضل حسن تخطيطه (قنان.ج، نصوص ووثائق، د س، 300 – 301).

3- أوريلي:"le Comte d'Oreilly"ضابط أرلندي كلفه الملك الإسباني كارلوس الثالث بحملة بحرية على الجزائر ووصلت الحملة في 31 جويلية 1775 ونزلت غرب واد الحراش، و فشلت في النهاية. (بوعزيز.ي، الموجز، 2009، 72–73)

4- معاهدة السلم المئوي: هي معاهدة أبرمت بين إمبراطور فرنسا لويس الرابع عشر وإيالة الجزائر بقيادة حسين باشا في 24 سبتمبر 1689م حيث نصت المعاهدة العلاقات الحسنة بين البلدين، وكانت القاعدة التي ارتكزت عليها العلاقات بين البلدين حتى عام 1830 (قنان.ج، معاهدات، 2010 ، 355– 356).

5- لويس الرابع عشر: ملك فرنسا (1643–1715) ، ولد بسان جيرمان في 05 سبتمبر 1638، تولى العرش في سن الخامسة بعد وفاة أبيه عرف بسياسته العدائية ضد الجزائر . (غطاس.ع، 1985/1984، 65).

6- محمد بكداش: تولى الحكم سنة 1707 ومات قتيلا سنة 1710 على يد الداي دال ابراهيم آغا (بن ميمون.م، 1981، 112).

قائمة المصادر و المراجع:

أ–المصادر باللغة العربية:

1– الجزائري (محمد بن ميمون)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الطبعة2، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

2- الزهار (الحاج أحمد الشريف)، مذكرات أحمد الحاج شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الطبعة2، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1980.

3- الزياني (محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم و تعليق المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

4- بلانتيت أوجان، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1700-1833، ترجمة و تحقيق ججيك إلياس وسلامنية بن داود، الجزء2، الطبعة1، دارالوعي، رويبة، الجزائر، 2014.

ب- المراجع باللغة العربية:

1- ألتر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، الطبعة1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

2- بوعزيز (يحي)، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء2، الجزائر الحديثة، الطبعة2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009.

3- ــــــــــ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة خاصة، نشر و توزيع دار البصائر، حسين داي، الجزائر، 2009.

4- الجمل (شوقي عطاالله) وإبراهيم(عبدالله عبد الرزاق)، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة، المطبعة الذهبية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2000.

5- وولف (جون بابتيست) ، الجزائر وأوروبا 1500-1830، طبعة خاصة، ترجمة وتوزيع أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، نشر وتوزيع عالم المعرفة، 2009.

6- زروال (محمد)، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية- الجزائر، 2009.

7- المدني (أحمد توفيق)، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 سيرته، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، الؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

8- المطوف (عبد الكافي) ، الثورة الفرنسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011.

9- الميلي (مبارك بن محمد) ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، الجزء3، دون طبعة، مطابع أ. بدران و شركاه، بيروت. لبنان، 1964.

10- نايت بلقاسم (مولود قاسم)، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل1830، الجزء2، الطبعة2، دار الأمة، الجزائر، 2007.

11- السبكي (أمال) ، أوربا في القرن التاسع عشر(فرنسا في مائة عام)، الطبعة1، عالم المعرفة، جدة، 1985.

12- سوبول (ألبير) ، تاريخ الثورة الفرنسية، ترجمة جورج كورسي، دار منشورات عويدات، بيروت، 1989.

13- سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، الطبعة 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

14- عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي، الطبعة1، نشر وتوزيع دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، 2013.

15- قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، دار هومة، بوزريعة، الجزائر.

16- ــــــــــــ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، دار هومة، الجزائر ،2010 .

17- ــــــــــــ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790- 1830، منشورات ألف صفحة، الجزائر، 2014.

ج- الرسائل الجامعية:

1- نواصر (عبد الرحمن)، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا و انعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات، رسالة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الدكتور مختار حساني، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، 2011/2010.

2- غطاس (عائشة)، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، (مرقونة)، إشراف أ.د مولاي بلحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1985/1984 .

د- المراجع باللغة الأجنبية:

1- Bourgeois (Emile), manuel historique de politique étrangère, Tome II, Les révolutions (1789-1830), 13 édition, librairie classique eugène belin, Paris, 1946

2- Devoulx (Albert), les archives du consulat général de France à Alger, Marsielle, Bastide,libraire-Editeur, 1865.

3- Grammont (Henri.Delmas De), Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830) Ernest Leroux, Paris, 1887.

4- Cole (Juan), Napoleon's Egypt, Inanding The middle east, first publiched, Plagrave Machilan, New York, 2007.

هـ - المقالات باللغة بالفرنسية:

1- Montel(Jean), « Boutin, Vincent, (1772-1815), agent secret », in Revue du souvenir Napoléonien, Numéro 269, mai, 1973.